مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:02 (جويلية 2023) ص 603– 613
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

رواية" الطرحان" العنوان الملتبس و الجهد المعرفي

The Novel “at-Tarhan” – The Ambiguous Title and the Cognitive Effort

الدكتور: بوسماحة مويسي

جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، moiubous@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/04	تاريخ القبول: 2023/05/30	تاريخ النشر: 2023/07/13

الملخص:

نحاول في بحثنا هذا أن نتطرق الى بعض ما لا توليه الدراسات أهمية وبخاصة في زمننا هذا، لقد فرضت عادتنا القرائية نمطا من التحليل والدراسة للرواية، غالبا ما يتعلق الأمر ببنيتها السردية وتوظيفها للزمن والفضاء والى تعدد الأصوات بها.

وقد لحظنا اهتمام الروائيين، بخاصة الجزائريين منهم بالبحث المعمق بما يريدون الكتابة عنه مستعينين بالوثائق والمعارف وشتى العلوم في محاولة للإحاطة بما يفيدهم في إعادة صياغة الموضوع من وجهة تخيلية بحتة مستفيدين من ذاك البحث في منجزهم الروائي.

لقد رأينا في رواية " الطرحان " أنها لجأت الى البحث الدقيق فيما جاء من معلومات في متن النص، و هذا النوع من البحث فرضه الموضوع و خصوصيته

الكلمات المفتاحية: الرواية، الطرحان، الجغرافيا ، البحث، المصادر، المعلومات.

Abstract:

This Article tries to deal with some topics that are not really highlighted by literary works, especially in our time. Our reading habit has imposed a pattern of analysis and study of the novel. This has often related to its narrative structure, its use of time and space, and to its polyphony. We have noticed the interest of novelists, especially the Algerians in their in-depth search of what they want to write about, using documents, knowledge, and various sciences in an attempt to capture what is useful to them in reformulating the subject from a purely imaginary point of view, benefiting from that research in their fictional achievement. We have seen in the Novel of "at-Tarhan" that it resorted to the exact information that exists in the body of the text. However, this type of research was imposed by the topic itself and its specificity.

Keywords: Novel, at-Tarhan, Geography, Research, Sources, Information.

المؤلف المرسل: د. بوسماحة مويسي ، **الإيميل**: moiubous@yahoo.fr

1. مقدمة:

نحاول في هذه الدراسة مقاربة رواية " الطرحان " (كروم، الطرحان، 2022) من زاوية ما تضمنته من معلومات في مجالات شتى، التاريخية واجتماعية وجغرافية وغيرها، وما بذله الروائي من جهد لبلوغها من جهة، في محاولة لإفادة المتلقي من جهة أخرى، معتمدا على مراجع هامة، دون أن تتحول الرواية الى مدونة بحثية. وقد رأينا من الضروري انتهاج المنهج التحليلي الاستقرائي، بوصفة أداة إجراءيه نستطيع من خلالها بلوغ هدفنا. دون اهمال الاستفادة من مناهج أخرى تفيد هذه الدراسة.

2. "الطرحان" بحث مضن

ان الدارس لرواية "الطرحان "لعبد الله كروم سيواجه بنية سردية احتوت على ما يجب أن تتضمنه البنية السردية للرواية، من تعدد الأصوات، و الحكاية بل متتالية من الحكايات التي تتوالد عبر تقدم السرد الى جانت الفضاء والزمن وغيرها، كتداخل الأجناس وتعدد المرويات وتنوع في مستويات اللغة والاستباق السردي وتقنيات الاسترجاع، وظفها بكثير من الاتقان وبوعي وأدراك للأدوات الإجرائية للسرد.

ورواية " الطرحان "تستنطق واقعا في قرية مهمشة، تحكمها الأعراف بالرغم من أنها والقرى المجاورة لها تعد مراكز للعلم، بل سيطرة العرف عليها يعود الى تواطؤ بعض مدعي علم الفقه كالطالب قلوش، الذي يبارك المعاملات الربوية. يضاف الى ذلك قساوة الطبيعة والجغرافيا التي هي في حد ذاتها عنصر معاناة بمناخها الحار والجاف، الى جانب قلة الإمكانات وصعوبة العيش. وهي تكشفت عن واقع مزري من حلال تعدد الأصوات وتباين أفكرها وطموحاتها وآمالها وبذلك استطاعت أن تلتقط عناصر التخييل الاجتماعي والتاريخي والأنثروبولوجي والجغرافي. وان اعتمدت رواية" الطرحان "على الواقع المحسوس، فإنها عملت على إعادة صياغته رامية الى خلق عالم خيالي له ارتباط بالواقع.

يمكن مقاربة هذه الرواية من جوانب متعددة حسب ما يراه الدارس لها. وقد فضلت في هذا البحث أن أسلط الضوء على الجانب المعرفي في الرواية، والذي شكل كما هائلا من المعلومات في ميادين شتى تعلقت في معظمها بمصطلحات تخص منطقة توات سواء تعلق بأسماء أو بأوصاف خاصة بالمنطقة، أو معلومات في الجغرافيا أو ما تعلق بالأعراف والاثنيات، وبذلك يبرز البحث والجهد الذي قام به الروائي، ليقدم هذا الكم الهائل من المعارف

2.1 العنوان الملتبس

ان أول ما يصدم المتلقي هو العنوان " الطرحان " اذ لا يجد مفهوما له يوافق المعنى الذي جاءت به الرواية، ولن يتكشف له ذلك الا من خلال النص، الأمر الذي يدفع بالمتلقي وهو يقلب أوراق الرواية الى محاولة إيجاد المعنى

لهذا المصطلح الذي يخص منطقة توات وأهلها، وهو معاملة كانت، وربما لا زالت، يُلجأ اليها حين تشتد عليهم الظروف ويقهرهم الزمان، وهي الى حد ما تشبه الرهن ولكن هي أصعب وأفدح منه بحيث الذي لا يستطيع رد الدين تؤخذ منه أرضه بل وأملاكه، ويصبح من يومها متشردا.

عمد عبد الله كروم في منجزه الروائي " الطرحان " الى استفزاز القارئ وبعث الحيرة والفضول فيه لمعرفة ما يشيء به هذا العنوان ومدى دوره في مساعدة القارئ على فهم محتوى المتن بتحديد البنية الدلالية للنص. يقول (كلود دوشي" :Claude DUCHET وفي الوقت نفسه هو عنصر من عناصر النص الكلي الذي يستبقه ويستظهره في آن، حاضر في السرد من البداية الى النهاية في السرد كمؤشر للملفوظ ومعدل للقراءة." (Duchet, 1973, p. 57).

كما يذهب شعيب حليفي أن للعنوان دورا في انعكاس نسيج النص وبالتالي ومساعدة المتلقي لولوج النص:

"هو مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي" (حليفي، 1992، الصفحات 84-85)

و "الطرحان" التي يركز عليها الروائي هي المصيبة التي شردت العائلات و غيرت مسار شبان كانوا يأملون في حياة هادئة و يحلمون بمستقبل في قريتهم المعزولة. و حولها تدور الأحداث و تتشعب ، عنها تتكشف سلطة الأعراف و سيطرتها على مبادئ الشريعة بمباركة الكثير، سواء بالسكوت عن هذه المعاملة الربوية التي ما أنزل الله بها من سلطان، أم بتأييدها من لدن المتفقهين، انها صرخة و ادانة لهذه المعاملة، كما هي ادانة لمن عمل على ترسيخها في المجتمع التواتي بل هي نبش في الذاكرة التواتية التي مازالت تحتفظ بما سببته من مآسي .

2.2 الرواية البحث

ان خصوصية رواية " الطرحان " كونها تعالج تيمة تتعلق بمجتمع صحراوي يعتمد في حياته على وفرة المياه "الفقارات" والفلاحة الصحراوية وفق نسق اجتماعي خاص أيضا، سيطرت فيه الأعراف، التي أصبحت قانونا اجتماعيا لا مناص منه، الى جانب كثير من المصطلحات والمرويات، التي فرضت على الروائي البحث المضني حتى يتمكن القارئ من فهم ما ورد في الرواية من مصطلحات ويتعرف على العادات والتقاليد التواتية – نسبة الى منطقة توات–

هذا الى جانب تراسل الأجناس، من هنا كانت الرواية الى جانب كونها توفرت على بنية سردية بكل بمعنى الكلمة، فقد تميزت بجهد آخر أسهم في غنى التجربة وتميزها. ووفق هذه الرؤية حاولت هذه الدراسة أن تسلط الضوء على تلك الجهود وذاك البحث الذي ميز كتابة عبد الله كروم.

واذ اعتبر باختين:" الرواية هي نوع للمستقبل " ((Goldestein.JP, 1983, p. 8)) وهو ما يعني عدم سكون بنيتها السردية، وبالتالي فان تطور المجتمع وبنياته وعلاقاته يفرض على الرواية مسايرة هذا التطور، وهي في حركيتها، ومسايرتها لتطور المجتمع لا يمكن أن يكون لها قانونا:" ان الرواية لا تملك قانونا، بل هي في طبيعتها ضد القانون، لينة، نوع يبحث عن نفسه أبدا، يحلل، يعتبر أشكاله مكتسبة، وهذا غير ممكن الا لنوع يبنى داخل منطقة اتصال مباشر بالحاضر السائر نحو المستقبل." ((Goldestein(J.P), 1983, p. 10et suivantes)

يلحظ القارئ أن كثيرا من الروايات اعتمدت على البحث، سواء التاريخي منه، أم الاجتماعي أو الثقافي، حتى تستطيع إدراك موضعها، ملابساته ومن ثم صياغته وفق رؤية الكاتب، وأذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ما قام به الأعرج واسيني في روايته" الأمير."

وعلى هذا المنوال سار عبد الله كروم في روايته " الطرحان " لينبش في ذاكرة أهل توات وبخاصة في العلاقات الاجتماعية وفي تشكل الاثنيات وفي كون المنطقة حاضرة علم. وهو اذ يجعل من عرف ترسخ كقانون (الطرحان)، فانه يدين هذه المعاملة التي شردت الكثير من أبناء المنطقة، وحطمت آمال وطموحات الكثير بالرغم من أنها معاملة ربوية الا أنا لا أحد أدانها أو أوقفها سواء من أهل الفقه المدركون لمخالفتها للشرع، او من المجتمع الذي عانى منها.

وقد تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الروائي، فمن المخطوط الى معلومات في الجغرافيا، فمن تضاريس الصحراء الى شوارع تولوز، وغابات وأدغال فيتنام الى جانب تنوع الاثنيات والديانات فمن الإسلام الى النصرانية ثم اليهودية والبوذية. ومن تحديد لمصلحات منطقة توات كالفقارة والقصبة الى تطعيم النص بمرددات شعبية تعتبر أوكسيجين سكان المنطقة، دون نسيان أعرافها وتقليدها (توات).

وهو في ذلك يقدم لوحات فنية فرضها التخييل أحيانا ومسار الأحداث حيانا أخرى. في انسجام تام مع متتالية الحكايات، التي تتظافر لتخدم الحكاية الأم والتي تتمثل في سلطة الأعراف التي مزقت الأسر وسلبت منهم أملاكهم، وأجهضت أحلامهم، من خلال معاملة ربيبة «الطرحان ". وهو يرمي الى مرافقة المتلقي، دون عناء البحث عن مفهوم المصطلح، ليعيش أحداث الرواية وكأنه يعرف تلك المنطقة أو تعرف عليها من خلال قراءته لها. وحتى يطمئن القارئ لما ورد يحيله على المصادر الموثوقة، أو شهاداته التي يعززها بمعلومات حال ما أعاد القارئ البحث عنها، سيجدها صحيحة.

منذ الجزء الثاني من الرواية يقدم لنا معلومة عن الفقارة : " ...فقارة (هنو)الأسطورية ذات الألف بئر و بئر، تتدافع مياهها الفرات في أنفاق أرضية ملتوية كأفعى الكوبرا حينا، و مستقيمة ما بين قاعي بئرين متناظرين حينا

آخر، تدلف متفرقة على سطح الأرض..." " (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 18) و لكي يطمئن القارئ على صحة المعلومة يحيله على تلك الكراسة التي تتداولها الأجيل جيلا بعد جيل و تدون فيها كل المعلومات :"كل أملاك فقارة(هنو) و حياتها مقيدة في(الزَمَام)، و هي كراسة جليلة تدون فيها كل صغيرة و كبيرة، يحفظها ثقة القصبة، و في عهدنا يتولى الأمر الشيخ الفلاني ، و قد كفانا كتابة الرسوم و التقاليد، و هو الكاتب المعتمد لكل العقود و الممتلكات و المعاملات بالقصبة" (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 21). وقد ذيل هذه المعلومة التي اعتمد عليها بمصدر وهو مخطوط لأحمد الكعوي.

وهو حين يقدم لنا هذه المعلومة ومصدرها انما يدفعنا إذا أردنا التوسع في الموضوع أن نعود الى هذا المخطوط، وهو حين يدين تصرفات بعض شيوخ القرية وبعض الكتبة فانه يستدل بقول شاعرهم مولاي عبد الله:

منين الشهود غرقوا في بحر مالح بالزور يمحو ويكتبو

حتى القاف والضاد بغنمو سارح سنتيم من القول يقلبو (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 29)

هو يكشف حالة بعض القضاة وشهود الزور ويذهب الا أنهم يغيرون رأيهم بسنتيم من المال. وهي صورة عن مجتمع على الرغم من كثرة حفظة القرآن والعالمين بأحكامهم الا أن الشجع والطمع أعمى أعينهم وأبعدهم مسافات عن الدين الإسلامي وشريعته.

وهو حين يوظف التاريخ والجغرافيا يهدف من وراء ذلك الى الحديث عن التهميش الذي تعاني منه القصبة، اذ لم تتحدث عنها سجلات التاريخ، ولا مكان لها في كتبه وحتى موقعها الجغرافي ساهم في معاناتها، بل الكل ساهم في عزلها و نسيانها." قصبتنا – يا – سادتنا قرية منسية بين حروف التاريخ و تضاريس الجغرافيا." (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 34) بل يذهب الى ذلك التجاهل الذي أصاب القرية ممن كتبوا عن قصور توات (نقل الرواة فيمن أبدع قصور توات) و هو بذلك يعمق من درجة نسيانها و تجاهلها مما أدى بها الى العيش في عزلة تامة عن القصور الأخرى بل و تعيش خارج التاريخ و الجغرافيا.

وعلى الرغم من أن القرية يسكنها الأحياء فان أول ما يستقبلك هي قبورها التي لا تشي بالحياة و هنا بمقالة بنيامين (دعوا الأموات يدفنون موتاهم) و لعله يقول أن أهل القرية أموات بفعل عزلة التاريخ و الجغرافيا و اهمال الناس لهذه القرية و سكانها.

و هو حين يتحدث عن التركيبة الاجتماعية، يتحدث عن تراتب اجتماعي و تعدد الاثنيات و كأنه يتحدث عن عالم مصغر تتعايش فيه مختلف الطبقات الاجتماعية وفق نسق اجتماعي تتباين فيه المراتب و الأدوار ، فهناك الشرفة

ذوو سمو الشرف و هناك المرابطون و هناك الزنوج و الذين ترجع أصولهم الى افريقيا، و لكن لكل طبقة من هؤلاء نمط عيشها، و مهامها و مرتبتها الاجتماعية. و هو يقدم لنا هذه الفئات و أصولها و جذورها .

– فالمرابطون هم من سلالة الحاج المأمون يتوارثون الفلاحة وفن الخط وخزائن الكتب والمخطوطات.

– أما الأشراف فيعود أصلهم الى النبي محمد (ص) و هم يتوارثون المال و التجارة و الجاه.

– أما الزنوج فهم ذوو أصول افريقية ساحوا في البلاد من أجل لقمة العيش وهم يختصون في الأعمال الشاقة ويتقنون بعض الحرف.

و يتطرق الى الصراع الأبدي بين الشرفة و المرابطين من أجل السيطرة و ريادة الحكم في القرية، و هذا الصراع قد يفضي الى انحلال ذوات أخرى، و من ثم يعبر الروائي عن "عن نزوعات و ميول خاصة بجماعة معينة.وهو يرمي الى مرافقة المتلقي، دون عناء البحث عن مفهوم المصطلح، ليعيش أحداث الرواية وكأنه يعرف تلك المنطقة أو تعرف عليها من خلال قراءته لها. وحتى يطمئن القارئ لما ورد يحيله على المصادر الموثوقة، أو شهاداته التي يعززها بمعلومات حال ما أعاد القارئ البحث عنها، سيجدها صحيحة، أو قليلة التعيين، . تعبير يعطي النزوعات والميول اتساقا عميقا، محدثا عن الممكن والمحتمل لا عن القائم والموجود" (دراج، 1999، الصفحات 45–46)

وهو أيضا يتطرق الى شيخه وموجهه مولاي أحمد الذي لم يغرس فيه العلم فحسب بل بث فيه الوعي بمخاطر الاستعمار وأهمية حب الوطن، يقدم في الوقت ذاته من خلال مخطوطة نسيم النحات تعريفا لشيخه.

" مع الشيخ مولاي تعرفت على مقامات الحريري، ونفح الطيب للمقري، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وفي الفقه فتحني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل بشروحاته المعمقة وفي الدروس الخاصة حدثني عن الاستعمار الفرنسي وشروره ...ومعه عرفت الوطن ومعناه، وضرورة محاربة الاستعمار وحاجة المجتمع التواتي الى اصلاح" (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 39). وبالرغم من صغر هذا المقطع فانه سمح لنا بمعرفة أولا عالما ووطنيا، كما بين لنا نمط التدريس آنذاك، وبرامجه ومقرراته. فهو يمزج التراث المعرفي بالعلم الفقهي، وبانفتاح المتلقي على معاناته ومسببها ونشر الوعي للقضاء على الاستعمار.

ولما كان للنخلة في هذه المنطقة من أهمية في حياة الناس ومعيشتهم ورزقهم، وهي التي كانوا يجترحون منها الأكلات، وتأثرها بالظروف المناخية وعطشها يسبب الجوع والتشرد وربما الموت حين يتفشى الجوع والمرض وهو ما حدث لسكان القرية حين عم العطش بعد مر العام الرابع على الحرب العالمية الثانية.

"في ذلك العام الذي هو أشأم من طويس، أبدع الجوعى من النخلة أكلة " تاغنجا..."وهي أكلة حاولوا من خلالها سد رمقهم ومواجهة الموت. ولم يتوقف مسعاهم من أجل الحياة الى ابداع " تاغنجا" لجأوا الى جمع والمرض وهو ما حدث لسكان القرية حين عم العطش بعد مر العام الرابع على الحرب العالمية الثانية.

"في ذلك العام الذي هو أشأم من طويس، أبدع الجوعى من النخلة أكلة " تاغنجا..."وهي أكلة حاولوا من خلالها سد رمقهم ومواجهة الموت. ولم يتوقف مسعاهم من أجل الحياة الى ابداع " تاغنجا" لجأوا الى جمع من المزروعات سبعة سبعة ليحدثوا أكلة " توق توق". انه زمن القحط فمن الضروري البحث عن كل ما يجعل أهل القرية أحياء، و لم تتوقف المعاناة عن شح المياه بل امتد الى خراب المزروعات من الجراد الذي هاجم القرية من المزروعات سبعة سبعة ليحدثوا أكلة " توق توق". انه زمن القحط فمن الضروري البحث عن كل ما يجعل أهل القرية أحياء، ولم تتوقف المعاناة عن شح المياه بل امتد الى خراب المزروعات من الجراد الذي هاجم القرية وقضى على مزروعاتها يضاف الى ذلك الاستعمار وقوانينه الجائرة ومغتنمو الفرص للغنى ومصاصو الدماء والمستقوون بالاستعمار الذين يتربصون بأهل القرية من أجل حرمانهم من ممتلكاتهم بواسطة الرهن " الطرحان " متآمرين مع كتبة يجيزون كل شيء لأرباب المال، هذا بالإضافة الى الصعاليك الذين يزداد نشاطهم في زمن الجوع، مما أرغم أهل القرية الى الهجرة بحثا عن لقمة العيش، بعدما أخذت أرزاقهم بواسطة " الطرحان" وهو في ناحية أخرى يتعرض لاغتصاب الميراث وحرمان الورثة منه كما حدث للسباعي بن النجوم حين مات جده الفقيه وكان قد مات قبله أبو السباعي، بحجة أن الجد لم يترك وصية، فتشردت عائلة السباعي بتواطؤ من أعمامه رحمه والطالب " قلوش " ولولا فقيه قرية أخرى حيث ترك الجد وصيته عنده لما تمكن من إعادة رزقه «.. حين أخرج سيد البكري الوثيقة من جيب قندورته، وفك عقالها، ثم شرع يقرأها بصوته الجهوري المحنن...فاني أوصيت لحفيدنا السباعي ابن ولدنا الهالك نجوم. الله. سهما حددته بسبخة عومر بكل ما فيها من نخيل وماء..." (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 58) والذي لم يفرح به كثيرا حتى جاء عام الجوع والجراد والصعاليك ففقد كل ما يملك، فهام هو وأصدقاؤه بحثا عن العمل للإعالة أسرهم. فال جانب معاناتهم من الاقصاء والتهميش تتظافر عوامل أخرى لتسهم في اتساع محنتهم، بل وتدفع بهم الى المجهول.

وهو هنا يدين ممارسات باسم الدين والأعراف، بل يذهب الى إدانة كتمان الشهادة وتزويرها، كما هو الشأن بالنسبة للطالب " قلوس"، في الوقت نفسه يشيد بالعلماء التقاة الذين يحفظون الأمانة (البكري). أما حديثه عن الأديان الأخرى من خلال شخصياته الروائية، يقدم لنا صورة عن معتنقي الديانات المسيحية واليهودية.

نادين المسيحية الفنانة زوجة الرائد جنسون حيث كان يعمل السباعي في بيتهم مكلفا بالحديقة، التي حولها الى جنة في ظرف قياسي، نال اعجاب نادين، فعلمته الفرنسية وأطلعته على روائع الأدب الفرنسي وأجمل الأغاني، واكتشف فنانة تهوى الرسم وتبدع في لوحاتها عن المناظر طبيعية للصحراء، وبدورها اكتشفت فيه المثقف الذي يحمل ثقافة حضارة عميقة." أعجبت نادين بولعي و معرفتي للكتب و عنايتي بها، و عرفت أنني لست فلاحا قرويا فحسب، و لكنني أحمل في رأسي زمنا ثقافيا يعود لزمن سادت فيه حضارة العر." (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 152)« وان كان اعجابه بها من أول نظرة فقد وجد فيها الانسانة الخيرة التي تعامله معاملة طيبة، و يزداد تقاربهما يوما بعد يوم، الى أن جاء يوم راودته فيه عن نفسها و هددته في حالة الرفض بالادعاء بمحاولة اغتصابها، ليعتاد بعد ذلك النوم معها في غياب زوجها. و هذه العلاقة الحميمية لم تنته عند هذا الحد، بل حمته من عنجهية زوجها و حقده عليه كونه ينتمي الى قبيلة طردت اليهود شر طردة من منطقة توات، بل أخبرته عن نوايا فرنسا في تجريب القنبلة النووية بمنطقة رقان، إضافة الى ما أبدته له من حسن النية أظهرت حبها للسلم و السلام " الحروب عبر التاريخ تولد الأحقاد، اليتامى، المعدومين، يقررها الساسة، و ضحيتها البسطاء، حبذا لو كان هذا العالم خاليا من الأسلحة التي تدمر، لا أحب الحروب، لا أحب الحروب " (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 159) ونادين رومنسية الهوى، كاثوليكية الديانة من مدينة الورود تلوز، عاشقة الجمال، وان أحبت الثورة الفرنسية فلها موقف من الاستعمار لأنه يخالف شعارات الثورة ومبادئها، وهي في لآن شاهد على جرائم فرنسا بمنطقة رقان، ولا تريد أن تشاهد مأساة الشعب الفيتنامي، فتختار الطلاق بدل الذهاب الى الفيتنام. وبذلك تتأكد مواقفها الإنسانية. وقد يكون وصفها بتلك الأخلاق وذلك الرقي الإنساني سوى عربون حب لها.

الرائد جنسيون اليهودي الديانة، الفرنسي الجنسية، ممثل الحرب والدمار، مشارك فعال في التحضير لصنع القنبلة الذرية برقان، المكرش، العنين، لا تهمه الا الترقية في مساره العسكري، سيحقد على سكان المنطقة حين يخبره أحد المؤرخين الفرنسيين، بأن المغيلي قد كان سببا في طرد اليهود من توات، بل هو من أولئك الذين يحترفون القتل، ومن صناع الحروب.:" جاءت مع زوجها ا الغازي ليقهر المستضعفين من الجنوبيين ويبدو أنها تخفي جرحا غائرا في قلبها. ينكؤه رجل مكرش، ذو رقبة مدكوكة في جسمه المكور، . ...ومما يزيدها عذابا فوق العذاب الأصغر للشخير تلك البرودة في الفراش الناجمة عن عِنة فاحشة ومخجلة" (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 150).

وبهذه ينقل لنا صورة اليهودي في المجتمع التواتي، الذي يحفظ في ذاكرته صراع عبد الكريم المغيلي مع أبناء عمومته، وانتصاره عليهم، صورة الانسان الشجع الحقود، فاقد الرجولة، الباحث عن المال والشهرة ولو على حساب

المستضعفين. وهو (الرائد جنسون) انسان فرداني يعي فردانيته لا يهمه سوى الربح، بل هو صورة للمجتمع الليبيرالي الرأسمالي.

دالاماتشو البوذي رمز التسامح والعيش المشترك، يؤمن بنكران الذات، بالرغم مما فرضته السياسة وظروف الحرب وانتشار المد الشيوعي الذي رأى زعماؤه أنه مفعم بالتسامح والمحبة.

"أما البوذية فقد تراجعت بعد انتشار المد الالحادي الذي حمله هوتشي منه، واعتبروها ديانة فلسفية يمكن تجاوزها لما فيها من مبادئ التسامح والمحبة، وذلك ما يعد حاجزا للانتقام من الغزاة وأعوانهم" (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 196). على الرغم من تلك القيود المفروضة على هذه الديانة فان دالاماتشو أظهر تسامح الديني و تعاطفه مع السباعي، اذ ساهم في زواجه من سو الفيتنامية الملكية و وقف الى جابه بالرغم من المعارضة الشديدة لذاك الزواج من الفيتناميين، بل و سهل له الزواج وفق الشريعة الإسلامية في مسجد المسلمين الفيتناميين.

3-2 سحر المكان ودقة الوصف

من المعلوم أن الرواية تتسع لأمكنة متعددة مهما حاول الروائي تقليصها، لأن المجال الفكري لأبطالها يدفع الى تعدد هذه الأمكنة: " ان الرواية مهما قلص الكاتب مكانها، تفتح الطريق دائما لخلق أمكنة أخرى، ولو كان ذلك المجال الفكري لأبطالها، ان مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو أن نطلق عليه – الفضاء الروائي – لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان. والمكان بهذا المعنى مكون للفضاء،." (نجمي، شعرية الفضاء، 2001، صفحة 56)

وان كانت قد تعددت الفضاءات في رواية " الطرحان "، كما تعدد الجغرافيات، والاثنيات، فمن قصبة منسية عاش فيها بطل الرواية التي سحرته وظل يحن اليها، وينجذب لها، ويتذكرها ويتذكر تفاصيل شبابه وطيشه وحبه ومأساته، فانه نقلنا الى فضاءات عاش فيها أصدقاؤه الذين هاموا في بلاد بحثا عن لقمة العيش، كمدينة بشار والقنادسة بالضبط، أو وهران أو أ مدينة تلوز أين تقيم نادين الى مدينة هوي هو التي نقل لنا منها بدقة، الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى السياسية، وطبيعتها وجغرافيتها بتفاصيل دقيقة. ينقل معلومات هامة عن هذه المدن، وعن تاريخها ومجتمعها وتقاليدها، عن ديانة سكانها، لا شك أن البحث هنا كان السبيل الى تلك المعلومات وكان اللجوء الى ضمير "أنا «وسيلة للتعاطف مع البطل وتشاركه أحداث الرواية وكأنه بطلها.

فعن القنادسة يقول على لسان صديقه (بازا) متحدثا عن منجم الفحم بالمدينة: "هذا المعمل الذي كان يزود فرنسا وأوروبا كلها بمادة الفحم الحجري. وسعى المستعمِر بعد أن وضع يده على المنجم الحيوي سنة 1908م لاستغلاله، وأجبر البسطاء –مثلي –لمدة ثماني ساعات وبأجرة زهيدة " (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 139)

وعن مدينة وهران وعلى لسان الحساني " المدن الكبرى كأبناء آدم منها ما يعشر، ومنها ما يملؤك بالنفور عند أول نظرة، وما حدث لي في هران يختلف تماما، كرهتها في البداية وكدت أخرج منها في اليوم الموالي، لكنني لما اكتشفت سيد الحسن ودرب توتة، وما يقام فيهما من وزهوة وعادات سنوية، وحلق للذكر نسيت نفسي ...تكثر في وهرن الخمارات وبيوت الدعارة في زمن الأربعينات، لكونها مدينة تتربع على ساحل جميل، وبنايات شاهقة فطرها الاسبان، وزوقها الأتراك، وأرسى معالمها الجديدة الفرنسيون، لكن الانسان متعب فيها بعدم الراحة والخوف من عمليات السطو والتربص من طرف المافيا." (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 161)

ان هذه المعلومات المتكاملة عن وهران وعمرانها وتوالي الاسبان ثم الأتراك والفرنسيون ليست متاحة لأي كان، كما أنها ليست مطروحة في الطريق.

عن مدينة هوي هو يقول السباعي: " خرجت من ضيق السجن الى فسحة الحرية، لأتنفسح في المدينة الإمبراطورية (هوي هو). عاصمة سلالة نجوين فخذ التاج الملكي واكتشفت بنايات وقلاعا لها مع قصبتنا المنسية بعض الشبه كما في تقييد جدي. قلعة مربعة الشكل، يحيطها خندق حجري سميك، وكأنني في قصبة المأمون بأبراجها الأربعة وأسوارها الشاهقة...مدينة تنام على نهر العطور (هاوونغ)، رطبة الهواء، غالبا ما تجود سماؤها بقطرات من رذاذ المطر" (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 199)

ويواصل في وصف المدينة وعبق تاريخها قائلا: "تفوح منها رائحة التاريخ المتصل بالأسر الملكية.. عيناي تلتقطان صور القصور الشاهقة والأضرحة المقدسة.. غير أنهم يبرزون عظماءهم تحنيطا أو ينحتون تماثيلهم في صور نُصُب." (كروم، الطرحان، 2022، صفحة 199).

ومن هنا كان لا بد من دراسة الفضاء وضرورة تحليله للولوج الى المعنى، فهو لم يعد مجرد مكان وظيفي يلمع السرد ويضفي على النص قيمة جمالية باعتباره عنصر من عناصر السرد. بل أصبح دراسته تسهم في معنى النص." فانه يكون بدوره (الفضاء) نتاجا لاستعمال تراكمي للدلالة، وذلك من حيث أنه كباقي العناصر التكوينية للخطاب الروائي يقيد القارئ بناء معناه ويشكل مظهرا من مظاهر نشاط القراءة." (نجمي، شعرية الفضاء، 2001، صفحة 80)

اننا أمام فيض من المعلومات يحتاج فيه الانسان الى علم ودراية وبحث. كما يحتاج من الباحثين أن يولوا لمثل هذا البحث العناية، لما له من أهمية في عصرنا، و الى الإضافة التي تجنيها الرواية في ايهام القارئ بأن ما تتحدث عنه هو واقع معيش.

3. خاتمة:

اول ما يثير فضول المتلقي العنوان الذي لن يجد له معنى في القواميس ما يتطابق و المعنى في النص الروائي باعتباره مصطلحا محليا لا يعرفه الا سكان المنطقة كما وقفت في هذا البحث عند كثير من المعلومات التي وردت في رواية " الطرحان " على تنوعها، وأهميتها من التاريخية والسياسية والفكرية والجغرافيا، وهو ما يدلل على الجهد المعرفي وليد البحث المعمق فيما تقدم من العلوم المذكورة، أثثه الروائي بالخيال، ليوهمنا أنه ينقل حقائق لا غبار عليها، الا أنها في حقيقة الأمر لم تكن الا عكازا للتخييل، فمن يدرينا بأن السباعي قد وجد في التاريخ المحدد في الرواية. بل ليس من الصعب أن ننفي أن يكون الروائي قد عاش هذه الأحداث التي نقلها الينا عن طريق وكيله السارد. فتحديد التواريخ لا يعني أبدا أننا أمام رواية تاريخية، أو امام شاهد لوقوع الأحداث.

وهي (الرواية) بدون شك تنم عن ثقافة متكاملة لصاحبها و عن قدرته في الحفر في ذاكرة أهل المنطقة.

4-. قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1. حسن نجمي. (2001). شعرية الفضاء. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
2. شعيب حليفي. (1992). النص الموازي للرواية :استراتجية العنوان. الكرمل(العدد 46)، الصفحات 84-85.
3. عبد الله كروم. (2022). الطرحان. برج بوعريريج: دار الخيال.
4. فيصل دراج. (1999). نظرية الرواية والرواية العربية. الدار البيضاء – المغرب -: المركز الثقافي العربي.

باللغة الفرنسية:

1. *Duchet, C. (1973, décembre 12). La fille abandonnée et la vie humaine,élément de titrologie. In littérature, p. 57.*
2. *Goldestein(J.P). (1983). Pour lire le roman. Paris: Ducolot.J.*
3. *Goldestein.JP. (1983). Pour lire le roman. Paris: J.Ducolot.*
4. *Robbe-grillet.A* .(1963) ي. *,Pour un nouveau roman. Paris: Seuil.*